

خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود



جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل

2. شاركوا في بناء مستقبلكم

يوم الجمعة 21 شعبان 1379هـ الموافق لـ 19 فيفري 1960م

الـحمد لله الّذي هدانا للإيمـان، وشرح قلوبنا للإسلام، وأيقظ عقولنا من تلك الغفوة الطّويلة، وفتح أذهاننا لتلقّي العلوم والعرفان، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ مـحمّدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلـى آله وأصحابه الّذين ناضلوا فـي سبيل رفع الإسلام، وهداية الـخلق إلـى طريق القرآن.

أمّا بعد: فإنّ تطوّر هذه الأيام وتداول الظّروف والأزمنة الّتي تتقلّب من حال إلـى حال، تنبّئنا علـى أنّ الأعمـال وتوطيد العزائم هما اللّذان لـهمـا التّأثير الـمطلق فـي قلب الأوضاع، وجلب النّافع ودفع الضّارّ؛ لأنّ الكفاح اليوم أصبح بين حقّ وباطل.

وأنّ الـحقّ نور فلا بدّ له أن ينتصر وإن قلّت أعوانه، وأنّ دولة الباطل لا بدّ أن تنهدم وتتحطّم أمام هذا النّور.

وأنّ تـجارب التّاريخ هي الّتي أعطتنا هذه الدّروس الواقعيّة منذ أن خلق الله البشريّة على وجه هذه الأرض.

وأنّ الـحياة دائمًا موقوفة علـى استعمـال الـمواهب فيمـا خلقت لأجله؛ ليمكن للإنسان أن يسخّر ما فـي هذا الكون من منافع حيويّة، ويستخرج تلك الكنوز والذّخائر لصالـحه وصالح شعبه، ويستطيع بعد ذلك أن يرتقي إلـى الدّرجة العليا فـي القوّة والعظمة، بعد أن يهيّئ سُلّمًـا يصعد بواسطته إلـى الـهدف الأسمى الّذي يعزّز جانبه، ويـحقّق آماله ومقاصده.

وأنّ هذا التّسابق الإنسانـيّ فـي ميادين الـحياة هو الّذي يبعث فـي عزائم الإنسان الرّغبة فـي الاطّلاع والابتكار والاكتشاف.

ولـمـاذا نبقى نحن فـي مؤخّرة الأمم، ونختار الكسل والإهمال لعقولنا وأرواحنا وأجسامنا حتّى يـحقّ فينا الـخسف والعار، ونتحمّل عاقبة ذلك من أنواع الذّلّ والاحتقار جزاء علـى تفريطنا وركود أذهاننا؟

إنّ الله -جلّ جلاله- لـم يـخلقنا عبثا فـي هذا العالـم، لنعيش كمـا يعيش الـحيوان، نفكّر فـي مطالب الـجسد ورغائبه، ونترك الـجانب الأعظم الّذي خلقنا من أجله، والّذي نحمل به عنوان البشريّة الكامل، ألا وهو العقل والرّوح، فبهمـا نسود فـي هذا العالـم ونبني بهمـا السّعادة، ونمثّل رسالة هذا الدّين الإسلاميّ ونحفظ كياننا الأخلاقيّ والأدبـيّ والاجتمـاعيّ.

إنّ الـحياة منوطة بعزائمكم وأعمـالكم، فإذا أنتم اخترتم طريق الـمجد والعزّ فإنّ جميع الـمطالب والرّغائب فـي متناول أيديكم وفـي مستطاعكم، وإن اخترتم العبوديّة والتّقهقر والتّراجع فإنّ ذلك يؤدّي بحياتكم إلـى الـهاوية.

وإنّ ماضيكم القريب يكفيكم واعظًا عمّـا دفعتم وتـحمّلتم من تلك الضّرائب والطّعنات الّتي أصابتكم فـي الصّميم وأنهكت قوّتكم، وقتلت مواهبكم، وأماتت إحساسكم وشعوركم.

ولكن اليوم يـجب عليكم أن تكفّروا عن هفوات الـمـاضي وزلّاته، وتشاركوا فـي بناء مستقبلكم، ونصرة دينكم، وتـحقيق آمالكم، والله يعينكم ويؤيّدكم.